مصادر التفسير في إنتاج المفسرين الجزائريين

بلحاج جلول
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان ، الجزائر
Djelloulogbi46@hotmail.com

تاريخ التلقي Submission date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ النشر Publication date
2020-03-01	2020-07-05	2020-07-29

ملخص

يتعرض هذا المقال إلى المصادر التي يبني عليها المفسر الجزائري عمله التفسيري للقرآن الكريم ، وهو وإن لم ينص عليها صراحة وفي جميع التفاسير الموجودة إلا أنه يمكن رصدها بوضوح ، وهي تقرر بذلك شخصية المفسر المنتمي إلى خط أصيل ، يجمع بين الإطار الذي ترسمه تلك المصادر التي كثيرا ما توصف بالنصية أو الأثرية ، وبين الاجتهاد المؤسس والواسع الذي تتيحه وتدفع إليه تلك النصوص بقلة التفاصيل وتنوع الموروث ، والاتساع المستمر لدلالات ألفاظ وتراكيب الآيات القرآنية ، وهو نفس ما يسمح بتغطية قضايا الواقع المتجدد بالدراسة ، كلما أجتهد المفسر إدراك المعنى ، وأحسن في سلامة تنزيله على قضايا الواقع دون أن يتجاوز المفيد من جميع المعارف الإنسانية ؛ باعتبار الحقيقة قسمة بين العقلاء.

الكلمات المفتاحية: المصادر ، النص ، الاجتهاد ، العصر ، المجتمع.

Abstract: This article deals with the sources upon which the Algerian interpreter builds his interpretive work of the Holy Qur'an, which, although not explicitly stated in all the existing interpretations, can be clearly monitored. Often described as textual or archaeological, and between the foundational and extensive diligence offered and pushed by those texts, lack of details and diversity of inheritance, and the continued expansion of the semantics of the words and structures of the Koranic verses, which allows to cover the issues of renewed reality study, the better interpreter to understand the meaning, and creativity In the integrity of downloading on the issues of reality without exceeding the useful of all human knowledge; considering the truth division among the wise.

keywords: sources, text, diligence, age, society.

المقدمة: يرتبط البحث حول نشأة التفسير عموما بما يشمل أهل المغرب ، باعتماد مصادر ذلك التفسير. وقد تكلم العلماء في تلك المصادر من جهتين ؛ الأولى: خاصة بما نقل من التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين مما هو من قبيل النقل لا مدخلَ فيه للرأي عموما ، وقد بينوا أن صدق التفسير به عائد إلى صحة النسبة إلى مصدره. والثاني: ما يعود إلى النظر مما يعتمد اللغةَ والقرائن... قال الزركشي في البرهان: " اعلم أن القرآن قسمان: قسم ورد تفسيرُه بالنقل ، وقسم لم يرِد. والأول: إما أن يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو الصحابة أو رؤوس التابعين ، فالأول يُبحث فيه عن صحة السند ، والثاني يُنظر في تفسير الصحابي ، فإن فسَّره من حيث اللغة فهم أهلُ اللسان فلا شك في اعتماده ، أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه." (الزركشي ، ج2/149 ، 1980م).

وهذا الضابط المذكور ضروري ؛ أما أولا: فلِما يجب من التحفظ والتحرز فيما يفسر به كلام الله ، وأما ثانيا وهو فرع عن الأول ؛ فلكثرة الوضع والكذب في نسبة التفسير إلى الصحابة وخصوصا ابن عباس. قال ابن عاشور (1393هـ/1973م)[1]: " والحاصل أن الرواية عن ابن عباس ، قد اتخذها الوضَّاعون ، والمدلّسون ملجأ لتصحيح ما يروونه ، كدأب الناس في نسبة كلّ أمر مجهول من الأخبار والنوادر ، لأشهر الناس في ذلك المقصد." (الطاهر بن عاشور ، ج1/14 ، 1984م).

وبالتتبع لمختلف التفاسير يتبين أن المفسرين إنما كانوا يسيرون على وفق ما عرف من الرجوع أولا إلى ما وقع بيانُه في نفس القرآن ، ثم إلى ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم مهما وجد ، وإلى ما نقل عن الصحابة من التفسير ثم علماء التابعين ، ثم النظر الصحيح أي الاجتهاد الواسع المبني على ما ذكر ، وعلى اللغة والقرائن ومعرفة الناسخ والمنسوخ...وغير ذلك من المعارف الزمنية الثابتة.

والرجوع إلى ما تقتضيه لغة العرب طريقٌ واضح يضاف إلى ما ذكر ، وكثيرا ما كانت مباحث العربية مرجّحا قويا ، وداعما أساسا للخوض في التفسير ؛ ولأجل ذلك قال الشيخ أبو راس الناصري (1238هـ/1824م)[2] حول ما ينبني عليه التفسير: " واستمدادُ ذلك من علم النحو ، واللغة والتصريف والبيان والأصول ، والقراءات إلى غير ذلك من معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ." (أبو راس الناصري ، لوحة 05) ؛ وذلك أن خطاب القرآن وقع بناؤه على ما عرفته العرب من أساليب الكلام وطرائق البيان.

- **الإشكالية:** أمام اختلاف مناهج التفسير بل تناقضها أحيانا ، وتنوع المصادر القديمة والحديثة ، وباتالي وفرة التفاسير ؛ يتعين على المفسر المنتمي أن يتأكد من المنهج المعتمد. فماهي مصادر منتج التفسير عند المفسرين الجزائريين قديما وحديثا من سنة وإباضية ، وما الذي تم اعتماده أو تجاوزه من المصادر ، وكيف تم التعاطي مع المعارف الزمنية المستجدة ؟

- **المنهج المعتمد:** أعتمد في البحث على المنهج الوصفي التحليلي القائم على التأريخ للمصادر وتطورها ، ورصد المقادير المعتمدة بين مختلف مذاهب المفسرين ، ودرجات الاختلاف بينهم في ذلك قديما وحديثا.

- **الأهداف:** وباعتبار النص القرآني أساسا للتدين ، وكثيرا من حقائق اللغة والعلوم الإجتماعية وغيرها ، فإن التحديد العلمي للمصدر زيادة على ما يكسبه من شرعية التفسير ، فإنه يسمح بالتوسع في أطر الاجتهاد ومستجداته. وهو ما سندرك مداه في كثير من أعمال المفسرين الجزائريين بما فيهم المتقدمون.

تمهيد: تفرض طبيعة النص القرآني أن يتم استنطاقه بما هو من داخل ذلك النص ورجوعا إلى طبيعة تكوينه ودلالاته ، وإلى توضيحات مبلغه الأول باعتباره المكلف الأساس ببيان دلالاته (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[النحل: 44]. وتتيح كثير من المساحات فيه وجوها من الدلالات المتعددة والواسعة لتجدد الاجتهاد اللاحق في إدراك مضامينها (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[محمد: 24]. ولأجل ذلك نقسم المصادر إلى مصادر أساسية ، وأخرى تبعية تنبني عليها ، بما لا يحول دون التوسع الزمني في إدراك المعاني المقصودة دون إخلال ببيان المصدر الأساس عند توفر مادته وثبوت نقلها.

ثانيا: المصادر الأساسية في التفسير:

أ- **تفسير القرآن بالقرآن:** إن اعتماد هذا المصدر في بيان القرآن وجد مبكرا وفي المحاولات الأولى للتفسير ، فإن كثيرا مما " أُوجِزَ في مكان قد بُسْطَ في مكان آخر ، وما أُجْمِلَ في موضع قد بُيِّن في موضع آخر ، وما جاء مطلقاً

[1] - محمد الطاهر بن عاشور من كبار العلماء ورجال الإصلاح الديني بتونس ، ومفسر وفقيه ومقاصدي. معجم المفسرين 541/2.

[2] - الناصري المعسكري ، أبو راس فقيه ومؤرخ ومفسر له تآليف واسعة. معجم أعلام الجزائر: 306.

في ناحية قد يلحقه التقييدُ في ناحية أخرى ، وما كان عاماً في آية قد يدخله التخصيصُ في آية أُخرى." (الذهبي ، 31/1 ، 1976م). وواضح أهمية هذا المصدر. ومثاله: " أن يُحمل المجمَل على المبيَّن لِيُفسَّر به ...**(أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ)**.. فسرتها آيةُ **(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ)** الآية [3] من السورة نفسها." (الذهبي ، 31/1 ، 1976م) ؛ فهذا إذا كان واضحا هنا ، فإنه في أماكن أخرى يحتاج إلى نوع نظر واجتهاد لأجل صحة حمل اللفظ المطلق على اللفظ المقيد." (الذهبي ، 33/1 ، 1976م).

وقد ورد في السنة بيان لذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى **(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)**. " تخصيصه صلى الله عليه وسلم الظلمَ في قوله تعالى: **(الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)** بالشرك ، فإن بعض الصحابة فهم أَن الظلم مراد منه العموم ، حتى قال: وأيُّنا لم يظلمْ نفسَه؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " ليس بذلك ، إنما هو الشركُ." (الذهبي ، 36/1 ، 1976م). يريد بذلك قوله تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنَه **(لا تُشْرِكْ بالله إِنّ الشّرْكَ لَظلمٌ عَظِيم)**[لقمان: 13].

وأمثل له من بعض أعمال الجزائريين ففي تفسير الثعالبي (875هـ/1470م)[1] يوجد نموذج لذلك في بيان قوله تعالى " **(مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ)[فاطر:10]** ، يفتحُ وجوه الاحتمال بإمكان أَنْ يُرِيدَ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ بِمُغَالَبَةٍ فَلِلَّهِ العِزَّةُ: أي: لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ وَلاَ تَتِمُّ إِلاَّ بِهِ ، وَنَحَا إِلَيْهِ مُجَاهِدٌ وَقَالَ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ." (الثعالبي ، 249/3 ، 1982م).. وتممه بنقل قول ابن عطية وهو الشاهد في التمثيل: وَهَذَا تَمَسُّكٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى **(واتخذوا مِن دُونِ الله ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً)[مريم: 81]**." (الثعالبي ، 249/3 ، 1982م).

وعند محمد بن يوسف السنوسي (895هـ/1490م)[2] أمثلة ، وإن كانت محدودة لمحدودية ما تمَّ العثور عليه من منتجه في التفسير إلا أنها تشير ولو من بعيد إلى أصالة هذا المسلك عند المفسر السنوسي وعند غيره عموما ، كما يظهر مثلا في تفسير قوله تعالى (المغضوب عليهم) فقد قال: " فالمغضوب عليهم يحتمل أن يكونوا هم الذين عرفوا استقامةَ ذلك الطريق ، وسهولتَه وقربَه ثم تنكَّبوا عنه ؛ إما كبْرا أو حسدا لمن دعا إليه ، أو إيثاراً للدَّعة أو الرياسة ، أو التمتع بالشهوات. وإن هؤلاء اليهود فإنهم عرفوا الحقّ وتنكَّبوا عنه ، كما قال تبارك وتعالى **(فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ)[البقرة:]**" (السنوسي ، لوحة 127).

وأحيانا يكون تفسير القرآن بالقرآن على سبيل الجمع بين الآيات التي ظاهرها التعارض ، فعند أبي راس الناصري مثلا تجده بعد أن يقرر أن لا تعارض بين القرآن وبعض حقائق علم الفلك يقول: " **(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ)[فصلت:12]** بدلٌ أو تفسيرٌ. فإن قيل: إن أصحاب الأرصاد أثبتوا تسعةَ أفلاك؟ قلتُ: فيما ذكروه شكوك ، وإن صحّ فليس في الآية نفيٌ الزائد ، مع أنه إن ضمّ إليها العرش والكرسي لم يبقَ خلاف. **تنبيه**: هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء قبل الأرض ، وقوله **(والأرضَ بعدَ ذلك دحَاها)**[النازعات:30] ظاهره خلاف ذلك. والجواب أن الأرض خلقت قبل السماء ودحيت بعد ذلك." (أبو راس الناصري ، لوحة 128). وتفيد أيضا أنه لا تعارض أيضا بين الآيات القرآنية فيما تفيده من المعاني بما في ذلك معاني الترتيب في حقائق المذكورات..

[1] - الثعالبي ، عبد الرحمان الجزائري صوفي وفقيه مفسر كبير ، له تآليف مشهورة (875هـ). معجم المفسرين 276/1.

[2] - السنوسي محمد بن يوسف (895هـ) صوفي ومتكلم من علماء تلمسان له تآليف صارت مقررات علمية. معجم أعلام الجزائر : 180.

وفي كتاب **المواقف** للأمير عبد القادر (1300هـ/ 1883م) [1] وهو وإن كان تفسيرا لا يقف عند حدود الظاهر إلا أنه يمكن ملاحظة مدى ما يمثله الرجوع إلى الآيات من مستوى لدى تقرير ما تحتمله الآية المراد تفسيرُها من وجوه المعاني كما يبدو ذلك في تأويل قوله تعالى **(أَمَّن يمْلكُ السّمْعَ والأبصارَ)**[يونس:31]: " يتصرف فيهما تصرف المالك ، فتسمع وتبصر الشيءَ على حقيقته ، وعلى ما هو عليه إذا شاء إسماعَها وإبصارها ، فلا تسمع ولا تبصر الشيء على حقيقته وعلى ما هو عليه ، وهي موجودة من غير آفة ظاهرة. ألا ترى المحجوبين الجاهلين كيف يسمعون كلام الحق سبحانه ولا يسمعونه؟ أعني لا يعرفونه. وإذا انتفتْ فائدةُ السمع فقد انتفى السمعُ لانتفاء المقصود منه. فقد ملك الحق سبحانه سمعَه وصرفَه عن معرفة المسموع كلام من هو؟ وكذلك يبصرون الحق تعالى ولا يعرفونه ، فانتفى البصر لانتفاء فائدته. فقد ملك الحق أبصارهم وصرفها عن معرفة المبصَر من هو؟ **(وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)[الأعراف: 198]**. (الأمير عبد القادر ، 129/1 ، 2005م). والآية الأخيرة مسوقة أساسا لتأكيد معنى أن السمع والأبصار بيد الله ، ولو شاء سلبها لكان له ذلك لا معقّب لحكمه. ودلالتها على ذلك غير مباشرة كما ترى.

وأسوق للشيخ محمد بن اطفيش الإباضي (1332هـ/1914م) [2] ، وهو من شيوخ التفسير والمتوسعين في التفسير فيه مثالا عند قوله تعالى **(إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيب مِنَ المُحْسِنِينَ)[الأعراف:56]** " ترجيح للطمع ، ولاسيما عند الاحتضار ، وتنبيه على ما يتوسل به إلى الإجابة والقبول وهو الإحسان. لم تذكَّر الرحمة لإضافتها إلى غير مؤنث لأنها ذكرت ولا إضافة إليه في قوله تعالى **(إنّ السّاعةَ قريبٌ)** ، وأيضاً هذا مختص بالشعر. وأُجيز العكس بل ذكر لتأويله بالرُّحم بضم الراء كما في قوله تعالى **(وأَقربَ رُحماً)[الكهف:81]** أَيْ: رحمة." (اطفيش ، 146/3 ، 2011م).

والشاهد هنا ليس في تفسير الآية المراد تفسيرها وإنما لغرض لغوي وهو تذكير (قريب) مع أن الكلام في الرحمة وهي مؤنثة لفظا. وساق لها المفسر نظائر من القرآن تثبت ما ذهب إليه وهو واضح.

وبالعودة إلى الشيخ الخضر حسين (1377هـ/1958م) [3] ، وهو من مفسري الظاهر الواقفين عند حده تجده على اختصار تفسيره يعود في تقرير معنى الآية إلى ما يؤكد ذلك ويوضحه من غيرها من الآيات كما فعل عند قوله تعالى **(يحبُّونهُم كَحُبّ الله)** فقد قال ما نصه: " الحبُّ: ميلُ القلب إلى الشيءِ. والضميرُ (هم) عائدٌ إلى قوله تعالى (أندادًا) ، وورود في صيغة ضمير العقلاء ظاهر في أن المراد من الأنداد في الآية: من بلغ الجهالُ في تعظيمهم حدَّ العبادة ، أو كانوا يطيعونهم في أمر التحليل والتحريم الإطاعة الواجبة لله ؛ كما حكى الله عنهم ذلك بقوله تعالى **(وقَالُوا ربَّنا إنّا أطعْنا سادتَنا وكبراءَنا فأضلُّونا السّبيلا)**" (الخضر حسين ، 295/1 ، 2011م). وواضح ما تشير إليه الآية من بيان معنى الندّية.

ونفس المسلك يجده المطالع عند ابن باديس (1359هـ/1940م) [4] ، وهو من المتأخرين أثناء الحديث عن قوله تعالى (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ)[الأنعام: 152] ، فقد ساق الآية التي تشير إلى الأشد وتحدده بسنّ معين " ... وقد جمع العلامتين قولُه تعالى (وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ)[النساء: 6]...كما قال تعالى **(حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة [الأحقاف:15]...)**" (ابن باديس ، 10 ، 1995م).

---

[1] - الأمير عبد القادر الجزائري مجاهد وعالم وصوفي ومؤلف (1883م). معجم أعلام الجزائر 103.

[2] - اطفيش ، محمد بن يوسف الإباضي الجزائري ، عالم ومفسر وعلامة كبير له تفاسير وتآليف (1914م). معجم المفسرين 658/2.

[3] - محمد الخضر حسين الجزائري من العلماء والمفسرين له تآليف ، ورحلات بمصر والشام. (1958م)

[4] - ابن باديس ، عبد الحميد مصلح وعالم ومفسر جزائري ، له تآليف وآراء إصلاحية رائدة (1940م). معجم أعلام الجزائر: 28.

ويوجد في تفسير الشيخ أحمد بن عليوة (1353هـ/1934م)[1] ، خصوصا **كتاب البحر المسجور** أمثلة ولو محدودة لرجوعه للآيات المختلفة التي تبين معنى الآية المراد تفسيرها ربما لاختصاره أولا ، وأيضا لكون تفسيره موضوعا أساسا لإفادة المعاني التأويلية التي تتجاوز الظاهر ، بعد أن ينصُّ على الظاهر ويقرره في كل آية قبل تأويلها على ما هو معلوم من منهجه رحمه الله تعالى.

ومن الأمثلة على ذلك قوله عند تفسير لفظة (كلماتٍ) من قوله تعالى **(فتلقَّى آدمُ من ربّه كلماتٍ فتابَ عليه)** فقد فسرها بما فسرتها الآية من سورة الأعراف وهو في ذلك تابع لباقي المفسرين ونص كلامه: " فتلقى آدم من ربه دون حواء (كلماتٍ) وهي قوله: **(ربّنا ظلمْنا أنفسَنا وإن لم تغفر لنا وترحمْنا لنكوننَّ من الخاسِرين)** ، (فتابَ عليه) وعلى حواء بالتبعية..." (ابن عليوة ، 119/1 ، ب ت).

وتجد للشيخ عمر بيوض (1400هـ/1980م)[2] ، وهو من مفسري الإباضية عند قوله تعالى (وكانوا بشركائهم كافرين) ما نصه: " وهذا كما قال في آية أخرى **(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ)[فاطر: 14]** ، يقول الكافر لمعبوده: لقد عبدتك في الدنيا ، فيقول المعبود: لا أعرفك ولا تعرفني. وهذا يجليه بوضوح قوله تعالى **(إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) [البقرة: 166]**." (بيوض ، 94/10 ، 2001م). وهي تبين أن معنى الكفر بالشركاء يكون بالبراءة منهم وهو تأكيد أقرب إليه من أن يكون بيانا.

وعند محمد بن عبد الكريم (1430هـ/2011م)[3] ، وهو من المفسرين المعاصرين وتفسيره ظهر حديثا نجده لا يستشهد بالآيات لتوضيح معنى أو تأكيده فقط ، بل أيضا لبيان ما تفيده بعض الحروف وما تتعدى به إلى غيرها من الكلمات ، تفريقا بينها وبين ما تتعدى إليه بعض الحروف في نفس السياق. كما في قوله " التوجيه الثالث أن (عفا) يتعدى بـ (عن) إلى الجاني وإلى الجناية ، يقال: عفوتُ عن فلان ، ويقال عفوتُ عن سيئات فلان. قال الله تعالى (علمَ الله أنّكُمْ كُنتُمْ تخْتَانُونَ أنفُسَكم فَتابَ علَيكم) [البقرة:187] ، وقال أيضا (وهُوَ الذي يَقْبَلُ التوبةَ عن عِبَادِه ويَعْفُو عَنِ السَّيّئاتِ) [الشورى:25] " (عبد الكريم الجزائري ، 242/2 ، 2011م).

وإن آخر ما اطلعتُ عليه من تفاسير المعاصرين ، وقد صدر حديثا أيضا تفسير الشيخ التواتي بن التواتي(حي في 2019م)[4] ، وهو تفسير حريٌّ به أن يعود في بيان الآيات إلى آيات في مواضع أخرى بنفس المدلول أو بمدلول متقارب لكونه اهتم بالقراءات ، وهي مناسبة لسوق الآيات بجانب بعضها ؛ بغرض كشف المعاني أو تأكيدها كما في تفسير قوله تعالى (الحمدُ لله ربّ العالمين) فقد قال: " لم يذكر لحمده هنا ظرفا مكانيا ولا زمانيا ، وذكر في سورة الروم أن من ظروفه المكانية: السماوات والأرض في قوله: (وله الحمد في السماوات وفي الارض)،[الروم: 18] ، وذكر في سورة القصص أن من ظروفه الزمانية: الدنيا والآخرة في قوله **(وهو الله الذي لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة)[القصص: 70]** ، وقال في أول سورة سبأ **(وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) [سبأ: 1]**" (التواتي بن التواتي ، 153/1 ، 2011م).

ب - تفسير القرآن بالسنة النبوية: إن تفسير القرآن بالسنة النبوية ، هو وثاني ما ينظر فيه المفسر بعد نظره في القرآن بأن يبحث في كتب السنن والمسانيد عمّا عسى أن يكون قد فسّر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سور

---

[1] - المستغانمي ، أحمد ابن عليوة من كبار الصوفية والعلماء المفسرين ، له تآليف وطريقة مشهورة (1934م). معجم أعلام الجزائر:367.

[2] - بيوض ، إبراهيم بن عمر الإباضي الجزائري ، مؤلف ومفسر له أفكار أصلاحية. معجم المفسرين 17/1.

[3] - محمد بن عبد الكريم الجزائري مفسر له كتب وآراء إصلاحية أقام بفرنسا إمام 30 سنة. مقدمة تفسيره الجزء الأول.

[4] - التواتي بن التواتي ، أكاديمي مفسر من أهل الأغواط ، له تفسير كبير وغير ذلك. ترجمته بالجزء الأزل من تفسيره.(حي يرزق في 2020م).

القرآنَ وآياتِه ، فقد ثبتَ عنه من وجوه كثير أنه فسّر لأصحابه آياتٍ كثيرةً ، وقد صح من ذلك شيءٌ لا بأس به ، يرسم معالمَ واضحةً للمفسر. وله أمثله ساقها السيوطي مجملة في الإتقان (السيوطي ، 11/1 ، 1974م) منها: أن الظلمَ المذكور في قوله **(وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)[الأنعام:82]** هو الشرك ، وأن الحساب اليسيرَ في قوله تعالى **(فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)**، وهو العَرْضُ ، وأن الخيط الأبيض والخيط الأسود هما بياض وسواد الليل ، وأن الذي **(رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى) [النجم:13]**أنه جبريل...وغير ذلك كثير.

وقد روى الثعالبي في تفسير قوله تعالى **(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) [البقرة:238]** ما يبين ذلك من السنة النبوية ففي «الموطَّأ» عن يَحْيَى بْنِ سعيدٍ ؛ أنه قال: " بلَغَنِي أَنَّهُ أَوَّلُ مَا يُنْظَرُ فِيهِ مِنْ عَمَلِ العَبْدِ الصَّلاَةُ ، فَإِنْ قُبِلَتْ مِنْهُ ، نُظِرَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عَمَلِهِ ، وَإِنْ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ ، لَمْ يُنْظَرْ فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ.". قال أبو عمر بن عبد البَرّ في كتاب «التمهيد»: وقد رُوِيَ هذا الحديثُ مسنَداً عن النبيّ صلى الله عليه وسلم مِنْ وجوهٍ صِحَاحٍ ، ثم أسند أبو عمر عن أَنَسِ بنِ حكيمٍ الضَّبِّيّ ، قال: قَالَ لِي أبو هُرَيْرة: إذا أَتَيْتَ أَهْلَ مِصْرِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ المُسْلِمُ صَلاَةُ المَكْتُوبَةِ ، فَإِنْ أَتَمَّهَا وَإِلاَّ قِيلَ: انظروا ، هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ ، فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ ، أُكْمِلَتِ الفَرِيضَةُ مِنْ تَطَوُّعِهِ ، ثُمَّ يُفْعَلُ بِسَائِرِ الأَعْمَالِ المَفْرُوضَةِ مِثْلُ ذَلِكَ.". وفي روايةِ تَمِيمٍ الدَّارِيّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ بهذا المعنى. قال: " ثُمَّ الزَّكَاةُ مِثْلُ ذَلِكَ ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعْمَالُ على حَسَبِ ذَلِكَ . انتهى ." (الثعالبي ، 141/1 ، 1982م).

وتجد مثل ذلك عند السنوسي في تفسير قوله **(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [الأنعام: 153]** ، فقد نقل قول عبد الله بن مسعود " خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ، وخط عن يمينه وشماله خطوطا ، وقال هذه سبيلي وهذه سبيل ، وعن كل سبيل منها شيطان يدعو إليها احبسوا إلى دين الإنس يريدون بها أهل البدعة ، ثم تلا هذه الآية **(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)** (الزيلعي ، 446/1 ، 1979م). قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه لعبد الله بن مسعود: يا أبا عبد الرحمان: ما الصراط المستقيم؟ فقال: هو رب الكعبة الذي وجدت عليه أباك ، حتى دخل الجنة ، ثم حلف على ذلك ثلاثا (ابن الأثير ، 372/9 ، 1985م). قال الله تعالى **(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)[الأنعام: 159]** ، يا محمد.". والآية الأخيرة تفيد معنى ما تفيده الآية المفسرة من التمسك بالصراط الواحد لاستقامته ، وترك التفرق فيه.

وأيضا نقل الخزرجي التلمساني (911هـ/1505م)[1] في تفسير قوله تعالى **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)[فاطر: 32]** عن " أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال: كلهم في الجنة.". وروينا في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نحن الأولون الآخرون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة." ، وفي رواية لمسلم أيضا " نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلق." (مسلم ، 585/2 ، 1985م). وخرج ابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يوم القيامة يقال أين الأمة الأمية ونبيها؟ فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضي غرًّا محجّلين من آثار الطهور. فتقول الأمم كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها." (ابن ماجة ، 1434/2 ، 1994م). وروينا في سنن أبي داوود قال أنا عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن أبي

[1] - محمد بن أبي العيش الخزرجي التلمساني عام ومفسر ، له فتاوى بمعيار الونشريسي (آخر القرن التاسع الهجري). معجم المفسرين 799/2.

موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة ، وإنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل." (الزيلعي ، 50/3 ، 1979م). انتهى." (الونشريسي ، 311/11 ، 1985م).

ومثال ذلك أيضا ما ذكره المغيلي (909هـ/ 1503م)[1] في تفسير سورة الفاتحة وهو الأثر الوحيد الذي وصل إلى يد يد الباحثين حديثا في فضل الفاتحة فقال ما نصه: " وكفى دليلا على عظيم فضلها قول النبي صلى الله عليه وسلم فيها: " لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها." (ابن خزيمة ، 280/1 ، 1981م)." (المغيلي ، لوحة 02).

وأعود لأبي راس لأشير إلى ما أورده من الرواية الثابتة في تفسير قوله تعالى: (ولن يتمنَّوْهُ أبدا بما قدمتَ أيديهم) من موجبات النار كالكفر بمحمد وتحريف التوراة ، وفي الحديث: " لو تمنَّوُا الموتَ لغصَّ كلٌّ إنسان بريقه فماتَ مكانَه ، وما بقيَ يهودي على وجه الأرض." (الزيلعي ، 75/1 ، 1079م)." (أبو راس ، لوحة 05).

وفي نص آخر يورد أبو راس حديثا في تفسير قوله تعالى " **(ربَّنا وابعَثْ فيهم)** أو في الذرية المسلمة **(رسُولا منْهم)** من أنفسهم وقد أجاب الله دعاءهم ، بمحمد صلى الله عليه سلم كما قال: " أنا دعوة إبراهيم" (أبو راس ، لوحة 76).

ولا يفوتُ الأميرَ عبد القادر وهو بصدد الإشارة إلى المواقف التي اختارها من مجمل القرآن أن يعود إلى الحديث النبوي كلما كان ضروريا لإفادة معنى أو تأكيده كما فعل ذلك عند قوله تعالى **(وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) [سورة ص: 38]** ؛ كان سليمان عليه السلام قال: لأطوفنَّ الليلة على مائة امرأة تحمل كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله. فلم يقلْ إن شاء الله ؛ فلم تحمل منهن إلا واحدة جاءت بشق إنسان. الحديث أخرجه البخاري في صحيحه." (الأمير عبد القادر ، 162/1 ، 2005م).

وأعود للشيخ اطفيش تحت هذا العنصر لأجل بيان أنه في تفسيره أسوةٌ بغالب المفسرين يعود عند تفسير الآي إلى ما وقع في السنة كلما صحّ الحديث ، ولا يفوته أن يصرح بذلك كما في قوله في الموضع الأول عند تفسير قوله تعالى **(وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) [مريم: 52]**. فقد قال: " روى سعيد ابن منصور ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن سعيد بن جبير والحاكم ، وصححه وغيره عن ابن عباس: « أن جبريل عليه السلام أردفَ موسى حتى سمع صريرَ القلم والتوراة تكتبُ له.". أي كتابة ثانية ؛ لأن في الحديث الصحيح الوارد في شأن محاجّة آدم موسى عليهما السلام: « أن التوراة كتبت قبل آدم بأربعين عاماً " (مسلم ، 2043/2 ، 1992م) ، فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خُصّ بالمعراج الأكمل لا بالمعراج مطلقاً ، وقيل (نجياً) بمعنى ناجياً عن المهالك بصدقه. روى عن قتادة وهو بعيد." (اطفيش ، 497/5 ، ب ت).

وإن الشيخ الخضر حسينا على طريقته في اختصار المعاني ، وتقريرها دون الإكثار من الآيات ذات المعنى المشترك أو الأحاديث وأقوال المفسرين ، قد عاد ولو في مرات محدودة جدا إحداها في هذا النص إلى حديث يستأنس به لمعنى قرره للآية **(فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم)** " التبديل التغيير: " وكلا المفسِّرين لما أمر الله به من قول أو فعل ضال مستحق لأن يكون مصيره سوء العذاب ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته كما ورد في صحيح مسلم: " فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة." (ابن حنبل ، 234/23 ، 1995م) ، وفي رواية النسائي: " وكل محدثة بدعة ، وكل

[1] - محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني عالم ومفسر له تآليف ، جاهد اليهود بأرض توات صحراء الجزائر وهاجر إلى مالي والنيجر (909هـ). معجم المفسرين 554/2.

بدعة في النار." (الخضر حسين ، 162/1 ، 2011م). إذ تشترك الآية والحديث في خطورة تبديل كلام الله أو أحكامه ، وأن ذلك من الظلم والبدع المؤدية للهلاك.

وهو شيء فعله ابن باديس في مناسبات عديدة لكنها تبقى دائما محدودةً ، لنفس السبب وهو الاختصار وقلة ما وصل إلينا من تفسيره ، ثم حرصه على الاقتصار على تقرير المعاني العامة كما يفيدها ظاهر اللفظ. انظر ما قاله عند تفسير قوله تعالى **(والذين لا يدعون مع الله إلها آخر....)[الفرقان:68]** ما نصه: " ثبت في الصحيحين واللفظ لمسلم أن عبد الله بن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله ، أي الذنب أكبرُ (عند الله)؟ قال: أن تدعو لله ندا وقد خلقك. قال: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة من أن يطعم معك. قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك." (مسلم ، 155/9 ، 1982م). قال: تواردت الآية والحديث على في الإثم الأول على شيء واحد ، وتواردا أيضا في الثاني والثالث إلا أن في الحديث ذكر فرد من العام هو شر أفراده وأكبرها إثما ، وفي الآية ذكر العام."(ابن باديس ، 218 ، 1995م).

وعند الشيخ إبراهيم بيوض رجوع إلى الأحاديث ساعة التفسير ، ولكنه يأخذ غالبا شكل الاستئناس والتوسع في معنى ظاهر اللفظ. وربما كان الحديث المسوق بيانا لكيفية أجملها القرآن ، وهو ما يهمنا هنا أكثر ، كما في قوله تعالى (وكذلك تُخْرَجُون) قال ما نصه: " نحن الآن كذلك نباتٌ على ظهر الأرض نكبر ، وننموا ثم نموت ونبيس وتدخل بذورنا الأرض ، حتى إذا أراد الله إنباتنا أحيانا ولذلك يقول بعض الحكماء والعلم عند الله إن الله إذا أراد أن يبعث الناس بعد البرزخ ينزل على الأرض ماء فيخرج الناس منها كما يخرج النبات. هذا ما قال البعض ولا ندري أهو حق أمْ لا؟ ، وهل تكون حياتنا على هذا النحو أم على نحو آخر؟ فالمثال واحد ؛ إذ لكل واحد منا مكان في الأرض يدخل فيه إذا مات. وفي الحديث: " إن الإنسان يفنى كله ولا يبقى منه إلا عجم الذنب ، أو عجب الذنب."." (بيوض ، 137/10 ، 2001م).

والذي يبدو أن المعاصرين كانت الصفة الغالبة على تفاسيرهم تقرير المعاني كما تفيدها الألفاظ الشريفة ، وجريا على المشهور من عمل المفسرين ، وما انتهت إليه تقريراتهم من المعاني المتبادرة ، سعيا إلى توحيد المعنى المستفاد ، وترك التشويش عليه بكثرة الأقوال ، والروايات. انظر مثلا إلى الشيخ أبي بكر الجزائري عند تفسير قوله تعالى **(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت...)[النساء: 60-61]** ، فقد نقل ما نصه: " روي أن منافقا ويهوديا اختلفا في شيء فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم لعلمه أنه يحكم بالعدل ولا يأخذ رشوة ، وقال المنافق نتحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي فتحاكما إلى رسول الله صلى الله عليه سلم فقضى لليهودي فنزلت فيهما هذه الآية..." (أبو بكر الجزائري ، 500/1 ، 2003م).

وهو كما ترى سبب نزول الآية على ما هو ثابت ؛ لذلك اضطر المفسر إلى اللجوء إليه ولا يفعل ذلك في جميع المناسبات.

وفي البحر المسجور لابن عليوة وعند قوله تعالى **(ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأَى)**[سورة النجم:11] ينقل حديثا يستدل به لما رآه من ثبوت الرؤيتين القلبية والبصرية للنبي صلى الله عليه سلم لربه في المعراج ، وهي مسألة الخلاف فيها مشهور حتى بين الصحابة. وهذا هو نص ما ذكره:" وتحصل من هذا أن محمد صلى الله عليه وسلم اجتمع له الرؤيتان معا القلبية والبصرية ، قال في الأولى **(ما كذَبَ الفؤادُ ما رَأى)** ، وفي الثانية **(ومَا زاغَ البَصرُ وما طَغَى)**. ومن هذا القبيل قوله عليه الصلاة والسلام: " رأيت ربي بعيني وبقلبي." (ابن عليوة ، 22 ، ب ت).

وطريقة الشيخ محمد بن عبد الكريم المتبعة في تفسيره بعد شرح الألفاظ وتقرير المعنى الإجمالي للمقطع المراد تفسيره أن يسرد توجيهات الآية ، ويذكر تحت كلّ توجيه غالبا جملة من الأحاديث معزوّة إلى مخرجيها. وهي طريقة يلتزمها على طول تفسيره ، كما فعل ذلك مثلا عند تفسير قوله تعالى **(إنّ في خَلْق السَّماوات والأرض واخْتلاف اللّيْل والنَّهار)[البقرة: 164]** ما نصه: " التوجيه الأول: روي عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمان الرحيم) ، فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله **(إنّ في خَلْق السَّماوات والأرْض)** إلى قوله **(لقَوْم يَعقلُونَ)**. وروي عن أبي الضحى أنه قال لما نزلت **(وإلهكُم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلا هوَ الرحمانُ الرَّحيمُ)** تعجب المشركون وقالوا: إله واحدٌ؟ لئن كان صادقا فليأتنا بآية ، فأنزل الله **(إنّ في خَلْق السّماوات والأرض)** إلى قوله **(لقوم يعقلون)**." (عبد الكريم الجزائري ، 223/2 ، 2011م).

وأقف عن آخر المفسرين الجزائريين في حدود ما اطلعت عليه وهو الشيخ التواتي بن التواتي ، فقد ذكر نص دعاء آدم عليه السلام تفسيرا للفظ **(كلمَاتٍ)** من قوله تعالى **(فتلقَّى آدمُ من ربّه كلماتٍ فتابَ عَليه)** ، وساق المفسر " عن بُريدة وهو سليمان عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لما أهبط الله آدم إلى الأرض طاف بالبيت سبعا ، وصلى خلف المقام ركعتين ثم قال: اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي ، وتعلم ما عندي فاغفر ذنوبي ، أسألك إيمانا يباشر قلبي ، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي. قال فأوحى الله إليه إنك قد دعوتني بدعاء أستجيب لك فيه ولمن يدعوني. وفرجت همومه وغمومه ، ونزع فقره من بين عينيه ، وأجرت له من وراء كل تاجر زينة الدنيا وهي كلمات عهد وإن لم يزدها.". رواه الطبراني في معجمه الكبير ، وفي جامع المسانيد والسنن." (التواتي بن التواتي ، 436/1 ، 2011م). وهي مصادر يبعد أن تكون أحاديثها ثابتة وخصوصا بهذا السياق.

ج- تفسير الصحابة للقرآن: ومما يرجع إليه المفسّر للقرآن الكريم ما وصلنا من تفسير صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد عدَّ البسيليُّ وغيره منهم جملة تقدم ذكرُهم أعلاه ، وأكثرهم رواية وقولا في التفسير سيدنا عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود. فقد فسروا من القرآنَ خصوصا ابنَ عباس شيئا كثيرا رغم وجود بعض الروايات التي تثبت تحفظَهم في التفسير بل نهيَهم عنه. ففي الحديث عن ابن عباس مرفوعا: "...ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار." (مسلم ، 199/5 ، 1983م) ، وحديث جندب: " من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ." (أبو داود ، 320/3 ، 1991م) ، وما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: " أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلتُ في كتاب الله ما لم أعلم.".

ثم أنه قد نقل عنهم من التفسير الشيءُ الكثير ؛ مما يدل على أنهم حملوا النهي الواردَ على تفسير القرآن بمجرد الرأي أي " بالهوى فهو يجرُّ القرآن جرا لتأييد ما يهواه ويميل إليه من فكر. وبهذا يصبح القرآنُ تابعا لا متبوعا ، ومحكوما لا حاكما ، وفرعا لا أصلا. أي أن الآراء والمعتقدات والمذاهبَ هي التي تجعل من يفسّر الآيةَ أو يحتجّ بها ، يلوي عنقَها ليًّا لتأييد ما يراهُ ويعتقدُه." (القرضاوي ، 210 ، 2005م).

أو يكون المراد بها ما ذكره ابن تيمية: " أن يهجم على تفسير القرآن دونَ أن يتأهل له بما يلزم من أدوات التفسير ، وشروط المفسر من استحضار سائر القرآن ، وما صحّ من الحديث ، وما جاء عن الصحابة من أسباب النزول ونحوها ، وما نبه عليه مفسرو السلف من حذف وإضمار وتقديم وتأخير ، ونحو ذلك مما يخرج بالألفاظ عن ظاهرها." (ابن تيمية ، 108 ، 1988م).

وتفسير الصحابي وإن كان أمرا مختلفا فيه في الجملة إلا أنه عند التفصيل يمكن التفريق فيه بين ما ينقل عنه إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول ، وكل ما ليس للرأي فيه مجال ؛ فهذا من قبيل الحديث المرفوع إنما يكون البحث عن صحة سنده لا غير. فإن صحّ لم يجز رده اتفاقاً ، بل يأخذه المفسر ولا يعدل عنه إلى غيره بأية حال. فقد قال الحكم: " فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند." (الحاكم ، 36/1 ، 1980م).

وأستعرض شيئا من المواضع تبين ذلك الإجمال ، وتدل بالمثال على طريقة المفسرين محل الدراسة والتعريف في الرجوع إلى قول الصحابي في التفسير ، وهل ذلك مطلقا أو حيث يظن أن ما ارتآه الصحابي هو من المرفوع.

ذكر محمد بن عبد الكريم المغيلي في تفسير سورة الفاتحة على اختصاره موضعا واحدا عند قوله تعالى **(غَيْرِ المغْضُوب عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالّينَ)**، فقد قال ما نصه: " وفسر هنا ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد رضي الله عنهم **(المغضوب عليهم)** باليهود ، و**(الضَّالينَ)** بالنصارى. ورواه عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم." (علال بوربيق ، 235 ، 2012م). وأنت ترى أن ما فسر به الصحابي قد ثبت مرفوعا من طريق غيرهم ، وهو ما يؤيد أن تفاسيرهم ربما كانت إلى المرفوع أقرب إلا أن يدل دليل ، كاختلافهم على أقوال متغايرة.

وكذلك عند الشيخ أبي راس فعلى اختصار تفسيره وكونه لم يتعد الحزبين من القرآن أي الجزء الواحد نمثل له بموضعين الأول عند قوله تعالى " **(صراطَ الذينَ أنْعمْتَ عَليهِمْ)** بالهداية بدلٌ مما قبله بدلُ الكلِّ من الكل ، وهو في حكم تكرير العامل من حيثُ أنه المقصودُ بالنسبة ، وفائدته التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكَدِ وجْهٍ وأبلغِه. والمُنْعَمُ عليهم قال ابن عباس هم النبيُّون والصدِّيقون والشهداء والصالحون." (أبو راس ، لوحة 11 ، مخ).

وما قال ابن عباس رضي الله عنه هنا يؤيد ما قررته من قبل أن تفسيرهم ربما كان راجعا أكثر إلى ما فهموه من القرآن أو ثبت عندهم من بيان الرسول ؛ فإن قول ابن عباس: يشير إلى قوله تعالى (الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا).

ولم أطلع في حدود بحثي في المواقف للأمير عبد القادر على مثال في الرجوع إلى قول صاحب في بيان معنى آية ؛ فإن مفسر المواقف وإن كان لا ينفي الظاهر إلا أنه لا يعود إلا فهم صاحب ولا تابع فيما هو بصدده من التأويل ؛ إذْ لم تؤثر عنهم رضي الله عنهم المعاني التأويلية التي اختار التفسير على وفقها ؛ اللهم إلا أن يكون ذلك في سند حديث أو من قبيل أقوالهم في المعاني العامة.

وإضافة إلى ما مرّ من الرجوع إلى الآيات والأحاديث الثابتة يكثر الشيخ اطفيش في تفاسيره من الاستدلال بقول الصحابي في تفسير الآية وتقرير معانيها كما تجد ذلك في قوله تعالى **(الصراط المستقيم)** في سورة الفاتحة وهو كذلك في كلّ **(صراط)** وقع في القرآن فقد قال ينقل عن " ابن مسعود وابن عمر: ترك النبي صلى الله عليه وسلم طرف الصراط عندنا وطرفه في الجنة ، ومرجع هذه الأقوال كلّها واحد." (اطفيش ، 39/1 ، ب ت). وقال أيضا: " قال ابن مسعود رضي الله عنه: والذي لا إله غيره ما آمنَ أحد أفضلُ من إيمان بغيب ، ثم قرأ هذه الآيةَ ، رواه الحاكم وصححه." (اطفيش ، 286/2م ، ب ت).

كما لا أثر لذكر قول صحابي أو تابعي في تفسير في رحاب القرآن للشيخ بيوض في الأجزاء التي اطلعت عليها ؛ إذ كان هذا الأخير رحمه الله يكتفي بسرد المعاني العامة كما هي مقررة بظاهر ما تفيده العربية عريا عن الرجوع

إلى مصدر خاص ، وما درج عليها أغلب المفسرين اللهم إلا أن تكون من مسائل الاعتقاد أو الفقه فعلى وفق مذهب المفسر غالبا.

وأيضا نجد ذلك المسلك من الاكتفاء بتقرير المعاني العامة عند الشيخ أبي بكر الجزائري ، فلا تكاد تجده يرجع إلى أقوال الصحابة ولا التابعين ، ولا حتى من باب تأكيد ما يذهب إليه من التفسير وقد بين هو بنفسه الدافع إلى ذلك حين بين خصائص تفسيره والتي منها " خلوُّ هذا التفسير من ذكر الأقوال وإن كثرت ، والالتزام بالمعنى الراجح ، والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح ، حتى إن القارئ لا يفهم أن هنالك معنى غير الذي فهم من كلام ربه تعالى. وهذه ميزة جليلة وذلك لحاجة جمع المسلمين على فكر إسلامي موحد صائب سليم." (أبو بكر الجزائري ، 06/1 ، 2003م).

وكذلك يجري الأمرُ عند الشيخ ابن عليوة فهو لا يذكر عن صاحب ولا عن تابع قولا خاصا فسر به الآية ، إذ كان التفسير بالظاهر يكتفى فيه بما تفيده العبارة أو يستأنس له بالآيات ذات المعاني المشتركة ، وبعض الأحاديث النبوية.

وقد اعتمد الشيخ محمد بن عبد الكريم أقوالَ ابن عباس في التفسير سواء ما كان منها من قبيل بيان سبب النزول أو رواية حديث يفيد معنى الآية المقصود تفسيرها أو كان قولا مستقلا له يقرر به معنى أفادته الآية. فمن الأخير وهو ما يهمنا هنا ما نقله عنه في تفسير قوله تعالى **(لا ينالُ عهديَ الظالمينَ)**[البقرة:] بعد أن ذكر ما اختاره من التفسير " وروي عن عبد الله بن عباس أنه قال: لا يلزم الوفاء بعهد الظالم ؛ فإذا عقد عليه في ظلم فانقضه." (الجصاص ، 79/1 ، 1979م). نقله عنه الجصاص في تفسيره.

ويقلُّ عند الشيخ سعيد كعباش الرجوع إلى أقوال الصحابة في التفسير ، فهو يستغني في ذلك بما تفيده العبارة الشريفة ، وما يفيده ظاهرها. ويؤيد ذلك بما ينقل عن كثير من المفسرين في مناسبات مختلفة يتأتي الإشارة إليها. بينما يذكر الصحابة إذا كانوا من أصحاب القراءات فهو كثيرا ما يعود إليه وهو شيء سأذكره في محلّه.

بينما تجد عند الشيخ التواتي بن التواتي نماذج كثيرة للرجوع إلى أقوال الصحابة في التفسير منها مثلا ما وقع بيانا للكيفية التي توصل بها إبليس إلى إغوائهما حتى أكلا من الشجرة أقاويل ، فقد ذكر قول " ابن مسعود وابن عباس والجمهور: شافههما بدليل وقاسمهما." (التواتي بن التواتي ، 432/1 ، 2013م).

ثانيا: المصادر التبعية في التفسير:

أ - **الرجوع إلى أهل الكتاب في التفسير:** إن مما رجع إليه المفسرون كثيرا ما أثر عن أهل الكتاب من الأخبار ، وتفاصيل القصص المتعلقة بما ورد في القرآن من أخبار الأمم والكتب السابقة ، من جهة ذكر الأسماء والأزمنة والأماكن إلى غير ذلك. وقد ورد في التحديث عن بني إسرائيل نصوصٌ ترتب كثيرا من الحرج على ذلك ، وعلى الرغم مما صح من تلك النصوص فقد ملئت كتبُ التفسير من ذلك وشحنت عن آخرها مما سبب في أحيان كثيرة خللا واضحا في مدلول الآيات ووضوح مقاصد القرآن.

وأما من جهة اعتماده فقد انتهى فيه البحث إلى تقسيمه قسمين: **القسم الأول:** ما علمنا صحتَه مما بأيدينا من القرآن والسنة فهذا القسم صحيح ، وفيما عندنا غُنْية عنه ، ولكن يجوز ذكره ، وروايته للاستشهاد به ، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم... وعلى هذا القسم يحمل قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح:" بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرجٌ ، ومن كذبَ عليّ متعمدا فليتبوَّأ مقعده من النار." (مسلم ، 46/2 ، 1990م). **والقسم الثاني:** ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه ، وذلك مثل: ما ذكروه في قصص الأنبياء ، من أخبار تطعن في

عصمة الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، كقصة يوسف ، وداود ، وسليمان وغير ذلك ، فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا مقترنا ببيان كذبه." (محمد أبو شهبة ، 135 ، 1992م).

ومن ذلك ما روي في تفسير سحر هاروت وماروت ، فإن البسيلي الجزائري (830هـ) مثلا في كتابه التقييد الكبير لم يتابع ما عقّب به ابنُ عرفة على ما أورده ابن عطية في شأن هاروت وماروت من الإسرائيليات ، فقد قال ابن عرفة: " قال ابن عطية: روي أنهما (ملَكان) اختصمت إليهما امرأة ، وحكى القصة ، وضعفه ابن عطية من جهة السند. قال ابن عرفة: بل هو ضعيف من جهة الاستدلال ، فإنه قد قام الدّليل على عصمة الملائكة. ولا يقال: إنهما كانا معصومين ، ثم انتفت العصمة عنهما حينئذ ، فإنّ ذلك إنما هو فيمن يتّصف بالحفظ لا بالعصمة ، فيصح أن يحفظ تارة دون تارة ، أما العصمة فلا تزول عمن ثبتتْ له أبدا (وقد) كان الشيوخ يخطئون ابن عطية في هذا الموضوع لأجل (ذكره) هذه الحكاية. ونقل بعضُهم عن القرافي أن (مالكا) أنكر ذلك في حق هاروت وماروت." (ابن عرفة ، 140 ، 2010م). وعدم متابعة المسيلي لشيخه ابن عرفة يدل على اعتماده قوله في التحفظ مما هو من القسم الثاني المنافي لحقائق الدين نصوصا ومبادئ.

بينما التزم الثعالبي الإشارة إلى ما يذكر في ذلك ، وعقب بالتضعيف فقد قال في تفسيره : " وما يذكر في قصتهما مع الزُّهَرةِ كُلُّه ضعيفٌ ؛ وكذا قال: (ع). (ت): قال عياض: وأما ما ذكره أهل الأخبار ، ونقله المفسِّرون في قصَّة هَارُوت ومَارُوت ، وما رُوِيَ عن عليٍّ ، وابنِ عَبَّاسٍ رضي اللَّه عنهما في خَبَرِهما ، وابتلائهما ، فاعلم أكرمك اللَّه أن هذه الأخبار لم يُرْوَ منها سقيمٌ ولا صحيحٌ عن رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وليس هو شَيْئاً يؤخذ بقياسٍ ، والذي منه في القرآن ، اختلف المفسِّرون في معناه ، وأنكَرَ ما قال بعضهم فيه كثيرٌ من السلف ، وهذه الأخبار من كتب اليهود ، وافترائهم ؛ كما نصَّه اللَّه أول الآيات. انتهى.انظره." (الثعالبي ، 57/1 ، 1982م).

وكذلك فعل أبو راس الناصري عند الإشارة للقصة مع التعقيب عليها بالإبطال " (وما أنزل على الملكين)[البقرة:102] عطف على السحر ، والمراد بهما واحد فالعطف لتغاير الاعتبار أو هو نوع أقوى منه ، وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة. وما رويا أنهما مثلا بَشَرَيْنِ ، وكتب فيهما الشهوة وتعرضا لامرأة اسمها الزهَرة بفتح الهاء وتكسر تخفيفا فحملتها على المعاصي وصعدت إلى السماء بما نقلت منهما فمن أساطير اليهود." (أبو راس الناصري ، لوحة: 60).

غير أنه عاد إلى اعتماد شيء من ذلك مما لا يتجاوز أمر الأعداد ، وما يدخلها عادة من الاختلاف. ففي تفسير قوله تعالى **(فأنزلْنا على الذينَ ظلمُوا رِجْزًا منَ السّماء)[سورة:59]** يقول:" (فأنزلنا على الذين ظلموا) فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة في شأنهم ، وإشعارا بأن الإنزال عليهم بظلمهم بوضعهم غير المأمور به. (رجزا) عذابا وطاعونا مقدرا (من السماء). روي أنه مات به منهم في ساعة أربعة وعشرون ألفا. وقول ابن جزي سبعون ألفا ضعيف." (أبو راس الناصري ، لوحة: 39).

انظر كيف اعتمد ما رجحه من عدد وأورده بصيغة " روي" على ما فيها من التمريض ، وسقى تحديدَ ابن جزي من كأس التضعيف. ولعلّ ذلك إنما هو من قبيل الثقافة التاريخية التي كان أبو راس من المتخصصين فيها.

فإذا انتقلنا إلى مفسر كابن باديس في تفسير قوله تعالى (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) [النمل: 22] نجده عمم الحكم في مثل هذه القصة وغيرها مما جرت عادة المفسرين بحشره بالمناسبة فقد قال تحت عنوان فرعي " تحقيق تاريخي: رويت في عظم ملك سليمان روايات كثيرة ليست على شيء من الصحة ، ومعظمها من الإسرائيليات الباطلة التي امتلأت بها كتب التفسير ، مما تلقى من غير تثبت ولا تمحيص ، من روايات كعب الأحبار ووهب بن منبه ، وروى شيئاً من ذلك الحاكم في مستدركه ، وصرح الذهبي

ببطلانه. ومن هذه المبالغات الباطلة أنه ملك الأرض كلها مشارقها ومغاربها ، فهذه مملكة عظيمة بسبأ كانت مستقلة عنه ، ومجهولة لديه ، على قرب ما بين عاصمتها باليمن وعاصمته بالشام." (ابن باديس ، 272 ، 1995م).

بينما أعرض الشيخ جابر الجزائري في تفسيره عن هذه القصة ، ولم يكلف نفسَه بذلك عناءَ ردها أو الاعتذار لمن حشَرها في التفسير. (أبو بكر الجزائري ، 43/1 ، 2003م)

ونشير إلى القسم الثالث، **مما** هو مسكوتٌ عنه فلا نؤمن به ، ولا نكذبه ؛ لاحتمال أن يكون حقا فنكذبه ، أو باطلا فنصدقه ، ويجوز حكايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم. ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة ، قال:" كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: " لا تصدقوا أهل الكتاب ، ولا تكذبوهم ، وقولوا: **(آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) [العنكبوت: 46]**". الآية ، ومع هذا: فالأولى عدم ذكره ، وأن لا نضيع الوقت في الاشتغال به." (محمد أبو شهبة ، 135 ، 1992م).

ولعل من هذا القبيل ما نقله الثعالبي في تفسيره لقوله تعالى **(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا)[سورة البقرة:247]** الآية: قال وهْبُ بن مُنَبِّهٍ: وكان طالوتُ رجلاً دبَّاغاً ، وقال السُّدِّيُّ: سَقَّاءً ، وكان من سِبْط «بِنْيَامِينَ» ، وكان سبطاً لا نبوَّةَ فيه ، ولا ملكَ ، ثم إن بني إسرائيل تعنَّتوا ، وحادُوا عن أمر اللَّه ، وجَرَوْا على سَنَنِهِمْ ، فقالوا: **(أنى يَكُونُ لَهُ الملك عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بالملك مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ المال)[سورة البقرة:247]** ، أي: لم يؤتَ مالاً واسعاً ، يجمع به نفوسَ الرجالِ ، ويَغْلِبُ به أهْل الأَنَفَةِ." (الثعالبي ، 146/1 ، 1982م). فهو كما ترى من قبيل المعاني العامة والأسماء التي ذكرت قد تكون صحيحة لا مخالفة للآية في تحديدها.

بل إن صاحب أيسر التفاسير أظهر استغناءه عن أحاديث أهل الكتاب بتقرير المعاني العامة للآية ، والاكتفاء بالاعتبار بما ذكر في الآيات ، حتى إذا وجد في السنة الثابتة تفصيلا مما يتعلق بقصص الأنبياء والأمم السابقة أثبته كما فعل في تفسير قوله تعالى **(فلَمَّا فصَلَ طالوتُ بالجنُود)**، فقد قال ما نصّه " لما التقى الجيشان جيش الإيمان وجيش الكفر طالب جالوت بالمبارزة فخرج له داود من جيش طالوت فقتله ، والتحم الجيشان فنصر الله جيش طالوت على عدد أفراده ثلاثمائة ، وأربعة عشر مقاتلا لا غير ؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل بدر: إنكم على عدة أصحاب طالوت. وكانوا ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا فهزم الله جيشَ الباطل على كثرته ، ونصرَ جيش الحق على قلته." (أبو بكر الجزائري ، 127/1 ، 2003م).

وفي محاولة لاستعراض نماذج من رجوع المفسر إلى أقوال أهل الكتاب بصدد تفسير بعض الآيات نذكر مثلا عند أبي راس: فقد نص على تفصيل بمناسبة تفسير قوله تعالى: " (فمن اهتدى) نجا ومن ضلّ هلك." (أبو راس الناصري ، 34). ؛ فقد ذكر أنه " روي أن آدم نزل بسَرَنديب جبل بأرض الهند ، وحواء بجدة وإبليس بالأبُلّة." (أبو راس الناصري ، 34).

وكذلك ذكر عند قوله تعالى (فسلِّمُوا على أنفسكُم)[النور]: " روي أن الله ألقى عليهم الظلام لكي لا يتباصروا ، فيتراحموا فقتلوا من الغداة إلى العَشِيّ ، حتى دعا موسى وهارون فانكشف الظلام ونزلت التوبة فكانت القتلى سبعين ألفا." (أبو راس الناصري ، لوحة: 39م). وفائدة النص في تحديد العدد المذكور لا تخفى.

وتجد للتجاني (1230هـ/1815م)[1] التحفظ المعهود عند مفسري الجزائريين فقد ذكر من سأله عن تفسير قوله تعالى (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) **[ص: 23]**)[سورة

[1] - التجاني ، أبو العباس أحمد. من كبار الصوفية وعالم مفسر له طريقة مشهورة. معجم المفسرين 76/2م

ص: 23] " وسألت شيخَنا رضي الله عنه عما ذكره بعض المفسرين في حق سيدنا داود عليه السلام ، وأنه تمنى كذا بقلبه وأمر الرجل بكذا ليفعله وكذا وكذا؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله: قال معاذ الله أن يصدر هذا من المعصوم ، وإنما حكى الله عنه أن الخصمين اختصما في نعج من الغنم لا غير كما قال الله (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة) إلى قوله (وأناب). ومن المعلوم عند المحققين أن القرآن لا يفسر إلا بالخبر الصحيح لا يصرف عن ظاهره إلا إذا كان ظاهرُه يلزم منه المحالُ. وكلا الأمرين منتفٍ هنا فلا خبر صحيح مفسر للآية يعتمد عليه ، ولا قرينة تصرفها عن الظاهر. وإذا فهمت هذا تبين لك أن على ظاهرها وليس كما قيل من التأويل الذي لا ينبغي أن يذكر حتى في صالحي عامة المؤمنين. فكيف يقال في صفوة الله هذا التأويل الشنيع نعوذ بالله من التخليط." (اطفيش ، 212/3 ، ب ت). وفيما أنكر وروده في شأن نبي الله داوود عليه السلام استجابة لما تقتضيه العقيدة الإسلامية من الجزم بعصمة أنبياء الله عما لا يليق. وهو في ذلك مسبوق بجملة المفسرين فلا معنى للتطويل.

وكذلك فعل الشيخ اطفيش فقد عاد في مواضع كثيرة من تفاسيره إلى النقل عن أهل الكتاب ولم يتعقب النقل عنهم بكثير ، وهو في ذلك متأثر بتفاسير ولو غير جزائرية يغلب على مقاصد مفسريها الاستكثار من النقول ، وملء الفراغات التي يتركها المفسرون خصوصا في مجال التاريخ ، وقصص أهل الكتاب وموضوعات أخرى كما في النص التالي من تيسير التفسير يبدو الأمر أكثر وضوحا في أمر من محض الغيب ينسب لكعب الأحبار فيه من التفسير ما لا سند له فيه إلا أن تكون ثقافته الكتابية انظر قوله: " قال كعب الأَحبار: خلق الله ياقوتة خضراءَ وصيرها ماءً وخلق الريح تحته ثم وضع العرش على الماءِ." (التجاني ، 116/1 ، 1985م). وهذا الشكل من الاطمئنان في الرجوع إلى جميع ما نقل عن علماء أهل الكتاب تجده عند مفسر كبير كالسيوطي رحمه الله في الدر المأثور.

وقد صرح أبو بكر الجزائري (1440هـ/2019م)[1] ، أنه من مميزات تفسيره العديدة " إخلاؤه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها إلا ما لابد منه لفهم الآية الكريمة وكان مما تجوز روايته لحديث " حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج."." (أبو بكر الجزائري ، 06/1 ، 2003م) ؛ ولذلك لا تراه يعود إلى شيء منها إلا على ضيق شديد لا يصادم مدلولا قرآنيا ، وقد يمكن الاستغناء عنه. وقد نقل على الأقل في هذا الموضع الشيخ جابر الجزائري عن ابن عباس عن أهل الكتاب: " ولهذه الرهبانية سبب مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما نذكره باختصار للفظه ومعناه قال كان بعد عيسى ملوك بدلوا التوراة وحرفوا الإنجيل وألزموا العامة بذلك ، وكان بينهم جماعة رفضُوا ذلك التحريف للدين ولم يقبلوه ففروا بدينهم ، والتحقوا بالجبال وانقطعوا عن الناس مخافة قتلهم أو تعذيبهم لمخالفتهم دين ملوكهم المحدث الجديد فهذا الانقطاع بداية الرهبانية ، وعاش أولئك المؤمنون وماتوا وجاء جيل من أبناء الدين المحرف فذكروا سيرة الصالحين الأولين فأرادوا أن يفعلوا فعلهم فانقطعوا إلى الصوامع والأديرة ، ولكنهم جهال وعلى دين محرف مبدّل فاسد فما انتفعوا بالرهبانية المبتدعة وفسق أكثرهم عن طاعة الله ورسوله." (أبو بكر الجزائري ، 214/4 ، 2003م).

ونفس الموقف وأصرح منه حين يوجهه الشيخ سعيد كعباش اللائمة لكثير من المفسرين الذين لا يفوتون فرصة حشو التفسير بالإسرائيليات في كل مناسبة ومنا المناسبة التي هو بصددها وهي تفسير قوله تعالى في شأن يوسف عليه السلام وامرأة العزيز **(ولقد همّتْ به وهمَّ بها لولا أن رأى برهانَ ربّه)[سورة يوسف:24]** فقد ذكر ما نصه: " من المفسرين من أخذ بالإسرائيليات في هذا الموضع فأغرق في التصورات الخاطئة لموقف يوسف إزاء المرأة بأن يجيبها لما دعته ، ثم انكفّ عن ذلك لما رأى برهان ربه. ثم أغرقوا في ذكر أنواع البراهين حتى لا يكاد

[1] - أبو بكر جابر الجزائري واعظ بالحرم النبوي و مفسر رحل قديما إلى العربية السعودية ومات بها 2019م.

يرعوي وحاشاه. وقال هؤلاء: إن الهم بالسيئة مع الكف عن إيقاعها لا ينافي ذلك عصمة الأنبياء ، واستدلوا له بحديثين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يقول الله تبارك وتعالى: فإن عملها فاكتبوها له بعشرٍ أمثالها. وإن همَّ بسيئة فلم يعملها فاكتبوها حسنة ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها." (سعيد كعباش ، 117/1 ، 2003م).

ب- تفسير التابعين وقيمته العلمية: ليست أقوالُ التابعين على كثرتها في التفسير مما اتفق على اعتمادها إلا أن مذهب أكثر المفسِّرين أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير ، لأن التابعين تلقوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة ، فمجاهد مثلاً يقول ما قد ذكرناه سابقا: عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أُوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها ؛ ولذا حكى أكثر المفسِّرين أقوال التابعين في كتبهم ونقلوها عنهم مع اعتمادهم لها. وفي هذا يقول بعض المعاصرين مرتبا أقوال التابعين من بين المصادر " وقد اعتمد هؤلاء المفسِّرون في فهمهم لكتاب الله تعالى على ما جاء في الكتاب نفسه ، وعلى ما رووه عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى ما رووه عن التابعين من تفسيرهم أنفسهم ، وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم ، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى." (الذهبي ، 03/2 ، 1992م). على أنه لا مانع وهو ما حصل فعلا من الانتفاع بالمروي عنهم من أقوال التفسير ، والتآليف فيه.

وعلى خلاف أكثر المفسرين الجزائريين نجد تفاسير الشيخ اطفيش مرجعا مهما لأقوال الصحابة والتابعين ، وهو ما يهمنا هنا ؛ فتفاسيره بحقّ مدونة لأقوال التابعين وأهل الكتاب خصوصا كعب الأحبار رضي الله عنهم أجمعين ، وفيما نقلته كفاية وأزيدك هنا نصين في موضعين مختلفين الأول منهما في تيسير التفسير عند قوله تعالى **(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)[البقرة: 159]** فقد قال " وأجاب **(أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ)** يبعدهم عن رحمته ، ويذيقهم العذاب ، مقتضى الظاهر أولئك نلعنهم ويلعنهم اللاعنون بالنون ، إلا أنه بالياء ، ولفظ الجلالة تفخيما للحكم ، يبعدهم الله عن رحمته أو يذمهم للملائكة ، وفى اللوح المحفوظ **(وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)** أي يتلفظون بلعنهم ، كلٌّ وكلامُه ، حتى الجمادات ، وقد علم الله تسبيحها ، أو يدعون بإبعادهم عن الرحمة ، وتلعنهم أجسامهم وأجسام غيرهم من الكفرة والمسلمين ، وقيل الملائكة والثقلان ، وقال ابن عباس: غير الثقلين ، وقال عطاء: الثقلان ، وقال مجاهد: البهائم حتى العقارب والخنافس إذا أقحطت بذنوب بني آدم." (اطفيش ، 182/1 ، ب ت). فقد نقل عن عطاء وعن مجاهد ومن قبلهما عن ابن عباس وهو ظاهر في أنه من تفسيرهم لا ما ينقلون عن شيخهم ابن عباس ، إذ لم يسندوا عنه الرواية كما هو المعهود.

ج - أقوال وكتب المفسرين: وهناك مصدر آخر دأب كثير من المفسرين على الرجوع إليه ، وعرض نصوصه للموافقة غالبا ، وأحيانا للنقد والمخالفة خصوصا في الفترة محل الدراسة ، وتلك هي أقوال المفسرين ، وما وصلوا إليه من الاختيارات ، وما أثبتوه من الآراء المجتهد فيها سواء تعلق الأمر باللغة أو الأحكام الفقهية...

ففي مجال الكشف عن وجه تقديم العبادة على الاستعانة (إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعينُ) أورد السنوسي كلام الشيخ ابن عرفة فقد قال:" للشيخ ابن عرفة أن تقديم العبادة على الاستعانة أقرب لكمال الافتقار وخلوص النية." (السنوسي ، لوحة 177). وقد سلم السنوسي هذا القول أو على الأقلّ لم يعقبْ عليه.

وقد رجع المغيلي في تفسيره المختصر للفاتحة إلى علمين أولهما ابن عطية فقد ذكر عنه: " والذي يترجح أن المعنى فمن وافق في الوقت مع خلوص النية والإقبال على الرغبة إلى الله تعالى بقلب سليم ، والإجابة تتبع حينئذ ؛ لأن من هذه حاله فهو على الصراط المستقيم." (أبو راس ، لوحة: 02). ومرة ثانية إلى قول الإمام الأشعري

" لا يقال لله تعالى على الكافر نعمة دينية ولا دنيوية." (المغيلي ، 233 ، 2012م). وكل ذلك عند شرح قول العبد (آمين) بعد قراءة الفاتحة.

وعند الأمير عبد القادر وجدت إحالات على مصادر عامة كقوله " قال المحققون" و" قال أكثر الناس" ، إلى غير ذلك. ففي تفسير قوله تعالى **(أَلا إِنّ أَوْلِيَاءَ الله)[يونس:63]** يقول: " جمهور المحققين من أهل الله تعالى على أن الولاية مكتسبة ، والاكتساب افتعال وهو طلب الشيء بقوة واجتهاد ؛ وعليه فالعمل لأجل تحصيل الولاية التي معناها القرب من الله تعالى برفع الحجاب وإخلاص العبودية إليه وصدق التوكل عليه ، والانحياش ظاهرا وباطلا إليه ليس بعلة قادحة في العبادة." (الأمير عبد القادر ، 200/1 ، 2005م). ولا أدري من أهل التحقيق هنا هل هم علماء العقيدة والكلام ، أم شيوخ التصوف إذ (الولاية) مبحث مشترك بينهم.

ولم يفتِ الشيخَ ابن باديس أن يعود إلى بعض أعلام التفسير من المتقدمين خصوصا فقد فنقل مثلا عن الحافظ ابن العربي عن الإمام عبد الكريم بن هوازن شيخ الصوفية في زمانه قال:" إنما قال لا أرى لأنه اعتبر حال نفسه إذ علم أنه أوتي الملك العظيم ، وسخر له الخلق فقد لزمه حق الشكر بإقامة الطاعة وإدامة العمل ، فلما فقد نعمة الهدهد توقع أن يكون قصر في حق الشكر فلأجلها سلبه ؛ فجعل يتفقد نفسه ، فقال: مالي ؟" (ابن باديس ، 267 ، 1995م)، وعقب ابن باديس على ذلك قوله: " وكذلك تفعل شيوخ الصوفية إذا فقدوا آمالَهم تفقدوا أعمالَهم. هذا في الآداب فكيف بنا اليوم ونحن نقصر في الفرائض. مثل هذه الدقيقة القرآنية الجليلة النفيسة من مثل هذا الإمام الجليل من أجل علوم القرآن وذخائره ؛ إذ هي معاني صحيحة في نفسها ، ومأخوذة من التركيب القرآني أخذا عربيا صحيحا ولها ما يشهد لها من أدلة الشرع. وكل ما استجمع هذه الشروط الثلاثة فهو صحيح مقبول." (ابن باديس ، 267 ، 1995م).

ويمكن إجمال الحقيقة التالية وهي أن كلا من الخضر حسين وابن باديس وجابر الجزائر ومصطفى عزيز [1] لا ينقلون عن كثير من العلماء بالعزو إليهم ، بل ربما ذكروا المعاني مقررة بعد مطالعتها في مظانها. وهو ما يفسر عدم التصريح بمصادر كل معنى يساق بإزاء الآية المراد تفسيرها.

ووجدت مخالفة لهؤلاء عند مفسر معاصر إذ ينقل الشيخ سعيد كعباش (حي 1441هـ/ 2019م)[2] عن كثير من المفسرين متقدمين ومتأخرين ، كما في تفسير قوله تعالى مثلا: **(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ)[يوسف: 24]** رجع تفسير الهم الوارد في الآية إلى تفسير المنار: " ويرى صاحبُ المنار أن الهمّ الوارد في الآية لا يراد به المواقعة الجنسية ، بل هو الضرب والتنكيل. ورجع إلى القطب أيضا فقال فنقل عنه: قصدت منه المباشرة بعزم قوي ، حتى أنها مدت يدها وقصدت المعانقة ، ويوقف هنا ويبدأ بقوله (وهم بها لوا أن رأى برهان ربه) فهو لم يهم بها لأنه رأى برهان ربه ، ولولا للامتناع وهو نفي." (سعيد كعباش ، 41/7 ، 2003م).

وينقل الشيخ التواتي بن التواتي عن كثير من القراء والمفسرين خصوص علماء النحو والقراءة لكون كتابه يهتم فيها بالقراءات وتوجيهها بالأساس إضافة إلى غير ذلك من بيان المعاني وتقرير الأحكام الشرعية. فقد نقل عن الرازي بمناسبة تفسير قوله تعالى **(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)**[البقرة:23]، حيث قال: " قال الرازي رحمه الله: لما اقام الدلائل القاهرة على إثبات الصانع وأبطل القول بالشريك عقبه بما يدل على النبوة ، وذلك يدل على فساد قول التعليمية الذين جعلوا معرفة الله مستفادة من معرفة الرسول ،

[1] - مصطفى آل عزيز ، أكاديمي جزائري عاش بليبيا له تفسير كبير طبعت منه أجزاء محدودة من أصل 30 جزءا.

[2] - سعيد كعباش الإباضي الجزائري ، له تفسير عصري وآراء إصلاحية في التفسير. مقدمة تفسيره نفحات الرحمان (حي يرزق في2020م) .

وقول الحشوية الذين يقولون: لا تحصل معرفة الله إلا من القرآن والأخبار. ولما كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مبنية على كون القرآن معجزا أقام الدلالة على كونه معجزا." (التواتي بن التواتي ، 353/1، 2013م).

وقد يعود إلى بعض أهل اللغة في تحديد معاني ألفاظ وقعت في آيات ذات مضمون عقدي كما في قوله **(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ)**[البقرة: 29]، إذ يقول " الزجاج: قال قوم في قوله عز وجل (ثمَّ استوى إلى السَّماءِ) عمد وقصد إلى السماء ، كما تقول: فرغ الأمير من بلد كذا وكذا ، ثم استوى إلى بلد كذا وكذا معناه قصد بالاستواء إليه." (التواتي بن التواتي ، 353/1، 2013م).

د- المعارف العصرية في التفسير: جدّتْ في حياة المسلمين علومٌ لم تكن موجودة عندهم بالشكل الذي انتهت إليه حديثا ، فعلم الاجتماع وعلم النفس مثلا لم يكن لديهم سوى معارف بشرية لم تأخذ بعد شكلها المنهجي ، وقد يلتزمها مفسر دون آخر ، وقد يوليها مفسر من العناية ما ليس عند غيره. ولكن المفسرين الجزائريين المعاصرين أسوة بغيرهم من مفسري المشرق قد أولوها من العناية والاستحضار في تفسير القرآن ما من شأنه أن يزيد في قيمة التفسير ، ويتيح مقروئية أكثر اتساعا وعلى صعيد نوعي.

هذا إضافة إلى العلوم التجريبية ، وعلوم التاريخ والجغرافيا وغير ذلك. وقد جعل الشيخ رشيد رضا أسوة بشيخه محمد عبده من شروط المفسر " العلم بتاريخ البشر ، وعلم السيرة والعلوم الكونية."(محمد أبو شهبة ، 37، 1992م)؛ لما لها من أهمية في فهم معاني الآيات ، وتنزيلها على مواقعها من حياة الناس. وقد صرح بعض المعاصرين ممن اهتموا بالدراسات القرآنية خصوصا بالقيمة المعرفية لعلم الاجتماع ، وعلم النفس " فإن هذين العلمين يعينان المفسر على فهم المراد من بعض الآيات ، وتفسيرها تفسيرا علميا صحيحا ، والكشف عما فيها من أسرار اجتماعية. وقارئ التفسير اليوم تستهويه التفاسير المدعمة بالمباحث النفسية والاجتماعية...أن يكون على علم بتاريخ الأديان السماوية السابقة كاليهودية والنصرانية وما دخلهما من تبديل حتى يستطيع أن يفسر مثل قوله تعالى (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)[المائدة: 41] ، والمذاهب الدينية غير السماوية كالبرهمية والبوذية والمَزْدكية والمانَوية ونحوها. وبذلك يستطيع المفسر أن يصل إلى الحق والصواب حينما يعرض للآيات التي جادلت أهل الكتاب ، ولاسيما النصارى في عقيدتي التثليث والصلب والفداء وكيف تأثروا ، وكيف تأثروا في هذين العقيدتين بالديانات والنحل القديمة ، وإلى غير ذلك." (محمد أبو شهبة ، 37، 1992م).

وهذا الاتجاه المتزايد نحو الدراسات الاجتماعية والنفسية يستجيب لطلبات كثير من القراء للتفسير ، لما تتيحه الدراسات المشار إليها من توسيع مدلولات الألفاظ والتراكيب القرآنية ، وما تفيده من المعاني الإنسانية المختلفة.

وتحت تأثير ما جدّ من معارف حديثة يقرر الخضر حسين بشأنها أن المفسر ينبغي أن يجمع بينه القرآن وما هو من قبيل المعارف القطعية على وجه يزيل التعارض الظاهر ، دفعا لما يتوهم من أن الآية نقيض ما هو مقرر في باب العلميات. المهم أن يكون معرفةً قطعية لا مجرد ظنيات يدعى فيها التناقض والنصَّ القرآني " وقد يورد بعض من لا يفرق بين الظنّيات والعلميات ومن لا يمعن النظر في فهم البليغ من الكلام أشياء يزعم أنها علميات جاء القرآن على خلافها ، فمن واجب المفسر أن يتصدى لإزاحة هذه الشبه ، ويبين بالطريق المنطقي أن ما أورد على القرآن لا يدخل في العلميات ، أو يذهب في تفسير الآية على وجه يلائم بلاغة القرآن ، ولا يخالف ما قرره العلم ، وأقام الدليل على أنه قطعي لا يلابسه ريب." (الخضر حسين ، 29/2، 2011م). وهذا الذي ذكره دأبَ عليه جملة المفسرين المعاصرين ممن فرقوا بين القطعيات والظنّيات في العلوم ؛ فجزموا بعدم التعارض بين نصوص القرآن وقطعيات المعارف ، ولم يلتزموا المعالجة لما هو من قبيل الظنّيات لا القطعيات.

وعند ابن باديس مثلا وبمناسبة الكلام عن خصائص الأمة العربية يلجأ إلى المعاني الاجتماعية ، وما طبعت عليه الشعوب عموما وخصوص الأمة العربية فهو يقول: " فمن الطبيعة العربية الخالصة: أنها لا تخضع للأجنبي في شيء ، لا في لغتها ولا في شيء من مقوماتها. ولذلك نرى القرآن يذكرها بالشرف ، ويحدثها كثيراً عن أمة اليهود التي لا يناديها إلاّ بيا بني إسرائيل ؛ تذكيراً لها بجدها الذي هو مناط فخرها كل ذلك لأنها أمة تحيا بالشرف والسُّمُوّ والعلو. ويذكرها بالذّكر وهو في لسانها الشهرة الطائرة والثناء المستفيض ، يقول تعالى لنبيه وهو يعني القرآن: **(فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ)**[الزخرف: 43 ، 44]. والأنبياء لم يبعثوا إلاّ في مناسب الشرف ، ومنابع القوة ، ومنابت العزة ليبنى المجد الطريف من الدين على المجد التليد من أحساب الأمة وأنسابها وشرفها وعزتها ، وما كان لها من مناقب تلتئم مع أصول الدين. فقوله تعالى: **(وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ)** [الزخرف: 44] ، ليشعرهم أن عليهم من الواجبات في مقابلة هذا الشرف الذي أعطوه ما ليس على غيرهم ، ولا شك أن ثمن المجد غال!! وهذا الشرط الذي ذكره الله ، وذكر به العرب هو شرط واجب الاعتبار والتنفيذ ، لأن الأمة التي لا تؤدي ثمن المجد لا تحافظ عليه ، ثم هي أمة لا يعتمد عليها في النهوض بنفسها ولا بغيرها. وإنما ذكرهم الله بذلك لينهضوا بالأمم على ذلك الأساس ، وهو إحياء الشرف الإنساني في نفوسها ، وليعاملوها على ذلك الأساس بالعدل والرحمة والتكريم. وما ذكر القرآن العرب بتكريم بني آدم وخلقهم في أحسن تقويم ، إلاّ ليعاملوهم على هذه القاعدة التي وضعها الخالق. وإن أعداء البشرية اليوم وقبل اليوم ، يعمدون إلى قتل الشرف من النفوس ، ليستذلوا من هذا النوع ما أعز الله ، ويهينوا منه ما كرم الله." (ابن باديس ، 390 ، 1995م). ومضمون النص يشير إلى أمرين مسؤولية كل العرب كأمة في المحافظة على ثمن المجد لما قد كلفها من ثمن ، والأمر الثاني ما هو واقع من استهانة بعض الشعوب بغيرها ، مما فيه تجاوز للحدود الإنسانية. وكأنه يشير بذلك إلى الاستعمار.

وفي نص آخر لابن باديس أوضح تراه يستفيد مما هو مقرر من المعارف الفلكية ، والتي كان القدماء يسمونها بعلم الهيئة في تفسير قوله تعالى **(فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ)**[الإسراء:12] ، فيقرر أن في خصوص ضوء القمر ما يلي: " **(فَمَحَوْنَا)** المحو هو الإزالة: إزالة الكتابة من اللوح ، وإزالة الآثار من الديار. فمحو **(آيَةَ اللَّيْلِ)** إزالة الضوء منها ، وهذا يقتضي أنه كان فيها ضوء ثم أزيل ؛ فتفيد الآية أن القمر كان مضيئاً ، ثم أزيل ضوؤه فصار مظلماً."(ابن باديس ، 47 ، 1995م). هذا المقدار هو ما تفيده الآية مباشرة.

وللاستدلال على صدق مضمون الآية لمن يحتاج إلى ذلك يستعين بالمعارف الحديثة حول ضوء القمر فهو يقول: " وقد تقرر في علم الهيئة أن القمر جرم مظلم يأتيه نوره من الشمس. واتفق علماء الفلك في العصر الحديث بعد الاكتشافات والبحوث العلمية أن جرم القمر- كالأرض- كان منذ أحقاب طويلة وملايين السنين شديد الحمْو والحرارة ثم برد ، فكانت إضاءته في أزمان حموه وزالت لما برد."(ابن باديس ، 47 ، 1995م). وهو بهذا يؤكد حقيقة تطابق المعارف العلمية ونصوص القرآن الكريم.

والفائدة التبعية لهذا أن هذا التطابق يدل بالأساس على الطبيعة الإعجازية لهذا الكتاب فهو قد نزل على نبي أمي ، وعلى أمة أمية في زمن لم يكن يتيسر لأحد في أي جيل أو حضارة ما هو متاح اليوم من معارف الفلك " لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية: ذلك الكتاب الذي جعله الله حجة لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وبرهاناً لدينه على البشر مهما ترقوا في العلم ، وتقدموا في العرفان!! فإن ظلام جرم القمر لم يكن معروفاً أيام نزول الآية عند الأمم إلاّ أفراداً قليلين من علماء الفلك. وإن حمو جرمه أولاً ، وزواله بالبرودة ثانياً ، ما عرف إلاّ في هذا العهد الأخير.

والذي تلا هذه الآية وأعلن هذه الحقائق العلمية منذ نحو أربعة عشر قرناً نبي أمي ، من أمة أمية ، كانت في ذلك العهد أبعد الأمم عن العلم ؛ فلم يكن ليعلم هذا إلاّ بوحي من الله الذي خلق الخلائق وعلم حقائقها!! كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيُتْمِ." (ابن باديس ، 47 ، 1995م).

وبالانتقال إلى مفسر آخر وهو مصطفى علي آل عزيز ، وتحت عنوان حقيقة السماوات السبع يعلق على قوله تعالى (وجَنَّة عَرْضُها السَّمَاواتُ والارضُ)**[سورة آل عمران: 133]**: " وإن كان موضوعنا ذكر السماوات السبع الشرعية ، وحيث أن السماوات السبع هي كواكب الجنة وأرضها ومواطنها لذلك كان لزاما علينا الإشارة إلى الجنة ومكانها وحدودها وكواكبها. وإذا كانت السماوات السبعُ لا تخرج ولا تزيد عن حدود المجموعة الشمسية وهي على عدد الكواكب المكتشفة في إطار المجموعة الشمسية والتي أعطي لها هذه الأسماء: المريخ المشتري زحل أورانيوس نبتون بلوتون ، وكان آخر كوكب في المجموعة الشمسية ولم نسمع بعد بتسميته...ويمكن أن كل مملكة تنقسم إلى جنتين وتتحقق الآيات في سورة الرحمان والواقعة وأنها أربع جنان." (مصطفى آل عزيز ، 395/1 ، 1990م).

وبغض النظر عما وصل إليه من الاستنتاج المحتمل ، ومدى علمية مثل هذا التقرير ، فإنه من الواضح مدى تسليم المفسر للحقائق العلمية وتبنيه توظيفها في التفسير ليتيسر له ما انتهى إليه من النتيجة. وهذا يحشره في زمرة من لم ير التحفظ من المعارف الحديثة في التفسير. وليس التحفظ من باب إنكارها بل فقط اكتفاء بالمعاني المباشرة للآيات.

ويتضح ذلك أكثر بالرجوع إلى مفسر معاصر كالشيخ جابر الجزائري: " ما ادّعى اليوم من أنه بواسطة الآلات الحديثة قد عرف ما في رحم المرأة ، فهذه المعرفة ليست داخلة في قوله تعالى (ويعْلمُ مَا في الأرحام) ؛ لأنها بمثابة من فتح البطن ونظر ما فيه فقال: هو كذا ، وذلك لوجود أشعة عاكسة. أمّا المنفيّ عن كل حد إلا الله أن يقول المرء: إن في بطن امرأة فلان ذكراً أو أنثى ولا يقربُ منها ولا يجرّبها في ولادتها السابقة ، ولا يحاول أن يعرف ما في بطنها بأيّة محاولة." (أبو بكر الجزائري ، 259/3 ، 2003م). وإنما قلنا: احتياط ؛ لأن من شأن المبالغة في حشر المعارف الإنسانية تحت مدلول الآيات بأدنى مناسبة من تكلف الموافقة والمطابقة دائما. وقد لا يكون ذلك جليا عند كل ناظر.

وفي موضع آخر يذكر جابر الجزائري " **(إنَّ فيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ)[المائدة:22]** بيان الأثر السيء الذي تتركه إذاعة النقباء للأخبار الكاذبة المهولة ، وقد استعملت ألمانيا النازية هذا الأسلوب ونجحت نجاحاً كبيراً حيث اجتاحت نصف أوربا في مدة قصيرة جداً." (أبو بكر الجزائري ، 259/3 ، 2003م). وهي إشارة منه أنه يمكن الاستعانة بالمعارف الحديثة لإثبات صدق الحقائق القرآنية لمن احتاج إلى ذلك ؛ لكنه لا يتوسع في ذلك كثيرا.

وكذلك يستعين الشيخ جابر الجزائري بالمعارف الطبية الحديثة والتي مفادها أن البرص داء عضال لا دواء له على الأقل في الزمن الذي أنجز في الشيخ تفسيره ، وفائدة ذلك عنده إثبات معجزة المسيح عليه السلام وكل ذلك تجده عند قوله " **(الأبرص)**: ذو البرص وهو مرض عَياءٌ ، عجز عنه الطب القديم والحديث ، والبرَص بياض يصيب الجلد البشري." (أبو بكر الجزائري ، 168/1 ، 2003م).

ويكفي أن يقال أنه في مدرسة التفسير الجزائرية لم يقم من بين جميع مفسريها من يصرح بالتنكر للمعارف الإنسانية ومدى توافقها مع حقائق القرآن ، كما لم يوجد فيهم من يبالغ في حشرها في موضوعات التفسير مهما كانت ظنية.

الخاتمة: نستخلص من العرض السابق ، ومما تم التطرق إليه إلى جملة نتائج يقررها البحث ، بعد نسبتها إلى محالّها وتحليلها. ومن ذلك ما يلي:

- اعتماد المفسر الجزائري المصادر الأساسية للتفسير ، وهي مصادر توصف بالنصية والأثرية من الآيات والأحاديث وأقوال الصحابة الذين عايشوا التنزيل ، وحيثيات المعاني.

- التوسع في مدلول الآيات بالاجتهاد المبني على المصادر الأصول ومنطق العربية لسان التنزيل ، وما يتوافق مما يجدُّ من المعارف الإنسانية المتجددة ، وما يتيح ذلك من مواكبة التفسير لقضايا المجتمع العصرية بما يتفق والإطار الثابت للمعارف والحياة الإسلامية.

- سلامة مصادر التفسير في تآليف الجزائريين سنة وإباضية من المناهج الباطنية المتعسفة في التأويل ، والتي كثيرا ما تتجاوز المعاني الظاهرة التي تقررها المصادر المعتمدة ، وكل ذلك لصالح معان مدعاة.

- قدرة المفسر الجزائري باعتماد هذه المصادر المعتمدة على الجمع بين النص والاجتهاد ، الأصالة والمعاصرة ، وربط الماضي بالحاضر ، والحاضر بالمستقبل.

- المصادر والمراجع:

— القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع.

— كتب السنة النبوية.

المصادر التاريخية:

01 — ابن مريم ، البستان في معرفة أولياء تلمسان (ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط:01 ، 1985م)

02 — التبكتي أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج (دار الكاتب ، ليبيا ، ط:02 ، 2000م)

03 — الحفناوي أبو القاسم ، تعريف الخلف برجال السلف (مؤسسة الرسالة ، لبنان ، ط:01 ، 1985م)

04 — سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي (دار البصائر ، الجزائر ، طبعة خاصة ، 2007م)

05 — نويهض عادل ، معجم اعلام الجزائر (مؤسسة نويهض الثقافية ، لبنان ، ط:03 ، 1988م)

06 — نويهض عادل ، معجم المفسرين (مؤسسة نويهض الثقافية ، لبنان ، ط:03 ، 1988م)

- المصادر الشرعية:

07 — أحمد بن حنبل ، مسند أحمد ، تحقيق أحمد شاكر(دار الحديث ، القاهرة ، ط:01 ، 1995م)

08 — اطفيش محمد بن يوسف ، هميان الزاد إلى دار المعاد ، للشيخ اطفيش (وزارة التراث القومي .سلطنة عمان ، بدون تاريخ)

09 — اطفيش محمد بن يوسف ، تيسير التفسير اطفيش (نسخة إلكترونية)

10 — آل عزيز مصطفى بن علي ، الحق لما اختلف فيه من الحق (دار الرشاد الإسلامية .لبنان .ط:01. 1990م)

11 —الأمير عبد القادر ، المواقف. تحقيق: عبد الباقي مفتاح (دار الهدى الجزائر ، ط:01 ، 2005م)

12 - بن باديس عبد الحميد ، مجالس التذكير (دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط:01 ، 1995م)

13 — بن عليوة أحمد بن مصطفى ، لباب العلم في تفسير سورة النجم (المطبعة العلوية _ الجزائر _ بدون تاريخ).

14- بن عليوة مصطفى ، البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور (المطبعة العلاوية ، الجزائر ، ط:01 ، ب ت)

15 – بيوض ابراهيم عمر ، في رحاب القرآن . تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بلحاج (المطبعة العربية ، غرداية - الجزائر - 2001م)

16 – التجاني أحمد ، تفسير التجاني ضمن جواهر المعاني (دار الفكر ، دمشق ، ط:01 ، 1985م)

17 - التواتي بن التواتي ، الدر الثمين (مطبعة رويغي الأغواط - الجزائر - ط: 01 ، 2011م.)

18 - الثعالبي عبد الرحمان ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر . ط:02. 1982م)

19 – الجزائري محمد بن عبد الكريم ، توجيهات القرآن الكريم (مؤسسة للنشر والتوزيع _ 2011_ الجزائر.)

20 – الجزائري أبو بكر جابر ، أيسر التفاسير (مكتبة العلوم والحكم ، العربية السعودية ، ط:01 ، 2003م)

21 – حسين محمد الخضر ، أسرار التنزيل ضمن الأعمال الكاملة للخضر حسين الجزائري (دار البشائر ، سوريا ، 2011م)

22 – الحاكم أبو عبد الله معرفة علوم الحديث (دار الآفاق الحديثة .بيروت .ط:01 ، 1980م).

23 – الحراني أحمد بن تيمية ، أصول التفسير (المكتبة السلفية ، اللقاهرة ، ط:05 ، ب ت)

24 - الذهبي محمد حسين ، التفسير والمفسرون (مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط:02 ، 1991م)

25 - الزركشي بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن (دار الفكر .سوريا .ط: 03. 1980م) .

26- السنوسي محمد بن يوسف ، تفسير سورة الفاتحة ضمن المواهب القدوسية للملالي (مخطوط خاص)

27 – السيوطي عبد الرحمان ، الإتقان في علوم القرآن (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط:01 ، 1974م)

28 - الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير (الدار التونسية للنشر ، تونس ، ط:01 ، 1984م)

29 – القرضاوي يوسف ، كيف نتعامل مع القرآن العظيم ؟ (دار الشروق .سوريا .ط:04. 2005م)

30 – كعباش سعيد ، نفحات الرحمان (جمعية النهضة ، الجزائر ، ط:01 ، 2003م)

31 – المغيلي محمد بن عبد الكريم ، تفسير سورة الفاتحة (مخطوط خاص)

32 - محمد أبو شهبة ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (دار الجيل – لبنان – ط: 01 ، 1992.)

33 - الناصري أبو راس المعسكري ، الإبريز والإكسير في علم التفسير (مخطوط خاص)

34 – الورغمي محمد بن عرفة ، تفسير ابن عرفة (نسخة إلكترونية بالمكتبة الشاملة الإصدار الأول 2010)

35 – الونشريسي أبو العباس أحمد ، المعيار المعرب (دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، ط:02 ، 1985م)